

اجتهادات الفرد.. والجماعة

إذا كان الأساس فى تنظيم حرية التعبير هو احترام حق الآخر وحمايته، على النحو الذى تناولناه فى اجتهاد أمس، فكيف يُعد المساس بعقائد ومقدسات دينية انتهاكًا لحق كل شخص يؤمن بها؟

هذا سؤال فلسفى فى أساسه يرتبط بكيفية تكييف العلاقة بين الفرد والجماعة الاجتماعية التى ينتمى إليها، سواء كانت دينية أو مذهبية أو عرقية أو غيرها. ومحور السؤال هنا هو: هل يعنى استقلال الذات الفردية أنها بعيدة عن أذى يلحق بمعتقدات هذه الجماعة، وهل يُعد المساس بهذه المعتقدات مُهينًا للفرد – كفرد؟

الجواب مُختلف عليه. هناك من يرى أن المساس بجماعة ما يمس كرامة كل فرد من أفرادها أيًا تكن قوة انتمائه إليها. ويوجد فى المقابل من يرى أن كرامة الفرد ليست نابعة من جماعة ينتمى إليها، وغير مُحددة بانتماء معين أو محبوسة فيه، وأن احترامها سابق على أى انتماء.

وهناك أيضًا من يرى أن تقدير الأذى المترتب على تعبير يؤذى معتقدات جماعة ما لا ينبغى أن يحدث فى فراغ، أو يُحصر فى حسم مسألة العلاقة بين الذات الفردية وانتمائها الجمعى، بل يُفضل ربطه بإجراء مقارنة موضوعية بين الشر المترتب على تعبير مؤذ، والخير المرتبط بالانتصار لحرية التعبير، فى كل حالة على حدة0

ولكن هذا الجواب الأخير الهادف إلى التقريب بين اتجاهين متعارضين يؤخذ عليه أنه ليس سوى محاولة توفيق قد تُفلح في مجتمع وتُخفق في آخر، وقد لا تصمد في الغد إذا قُبلت اليوم. والنقد الأهم لهذا الجواب أن تنزيل معايير شديدة التجريد مثل الخير والشر على واقع مُعقد لا يُقدم حلاً، بسبب الاختلاف على تحديد ما يُعد خيراً أو شراً، في هذا السياق أو ذاك.

وعندما نتأمل هذا الجدل ، نجد أنه امتداد قى صورة جديدة لمسألة شغلت التفكير من القديم، وهى العلاقة بين الحق والخير (وهى تختلف عن الخير !والشر)، وهل الحق يسبق الخير أم يُلازمه ويرتبط به؟

وهذا جدل قديم يتجدد مادام الناس مختلفين فى طرق التفكير، وغير مُتفقين بالتالى على كيفية تنظيم حرية التعبير عما يُفكرون به